

مع بداية الأسبوع الثالث للقتال

الصينى من خريطة العلاقات الدولية - موازنة المصالح الاقتصادية للدولتين العظميين في أماكن شتى من العالم - والشرق الأوسط بمرکزها الحساس .

ووصلت محاولات الوفاق الى قمتها بعد رحلتى نيكسون الى الصين وروسيا والتوصل الى اتفاق نينتام . والاعتراف بدولتين المائيتين ودخولهما الامم المتحدة ثم الاتفاقات الاقتصادية الكبرى المباشرة بين الدولتين ، وأن كانت مازال بحلقة بسبب امراضات كثيرة داخل امريكا ، بعضها من البين الامريكى التقليدى الذى يراها تقوية لروسيا ، وبعضها من الليبراليين بسبب تأييدهم لاسرائيل ورغبتهم في ربطها بالتأثير على موقف روسيا نحو اسرائيل والهجرة اليهودية . ولكن كل دارس للسياسة يعترف أن الاحداث الدولية لا تصرف « المطلق » ابدا . خصوصا في عالم اليوم المتشابك المعقد ، الذى مهابلقت ضعفة الدولتين العظميين ، فهما لا تستطيعان السيطرة تماما على كل ما يمكن ان يحدث في العالم . لم يعد العالم كما مهابلا كما كان في المصور القديمة يكفى ان تقهان الامبراطوريتان الرومانيتان لكى يسود السكون في العالم .

وحتى قبل بدء حرب اكتوبر في الشرق الاوسط بدأ من يقولون بان سياسة الوفاق وهم قصر العمر . وانها خلقت لكل دولة من الدولتين العظميين من المشاكل مع حلفائها وخصومها اكثر مما حلت من مشاكل . الا نرى اوروبا تتلجل وتعمد بحث مرفقها ؟ .. الا نرى اليابان تغير من كثير من اتجاهات عملها ؟ الا نستمر الحرب في كيبوديا ؟ ... اليست الصين تعود الى تدميرها وتحفظاتها ونقضها للدولتين معا ؟ .. اليس ماحدثت في شيلي بكل عنفه ساحة اخرى للصراع ؟ ... ثم اخيرا تفجر حرب خطيرة في الشرق الاوسط ؟ ..

ان الخلاصة من هذا كله واضحة :
١ - القويان العظميان لهما تأثيرهما الاكيد على مايجرى في العالم ، فانير يقوى احبانا حين ينفقان ويضعف حين يخنقان ، لان اتفاقهما ليس كاملا ، ولا يمكن ان يكون كاملا ذات يوم ابدا .
٢ - ان الارادات المحلية لها دور كبير تلعبه وبؤثر به على اقدار نفسها .. اى ان امامها ساحة كافية للحركة ، وان الكثير يتوقف على تصميمها وعلى خلق واقع يؤثر على مواقف وسياسات القوى الكبرى ذاتها ...

فلا مجال للاستسلام امام بديهية غير حقيقية وهى ان الوفاق قاطع ، والرضوخ لمطالباته حتمية ..

اليس قرار العبور التاريخى في ٦ اكتوبر ٧٣ ، وما خلقه فعلا من واقع جديد في الشرق الاوسط ، استطع الادلة على ذلك ؟

بقلم أحمد بهاء الدين

الاحزاب ، وفيهم الكتاب والسحفيون ! . ماذا يضيرهم ان يشقروا ما نفينا بالعطف ، في حين ان قلوب بعضهم ليست - في اعماقها - مع حقوقنا ، وعقلهم الباطن يخشى انتشارنا ؟
الكثيرون اتفقوا فن معاملتنا على هذا النحو طزال سبع سنوات تقريبا !
ولو لا يجب ان نقول ان هذه هى ساعة الحسم والصدق !
وقد خانت البعض مشاعرهم بالفعل ، فوجدناهم يتوجهون النصر العربى ... لان الامة العربية - بموقعها ومساحتها وثروتها وراثتها - يمكن ان تكون ماردا يحسب لمستقبله الف حساب . وهو حساب يؤرق بعض هؤلاء من «اصدقاء العطف» ، الذين يرفق « لاشعورهم » في ان تظل علاقتهم بنا علاقة الغنى بالفقير لا باس لديه ان يتصدق عليه بالعطف ، ولكنه لا يتقبل بعد فكرة ان يكون شريكا له على نفس القدم من المساواة !

من اخسر آثار الاسبوعين الماضيين والاسبوع المقبل : ان مزيدا من الناس في العالم بدأوا يشعرون ان المستقبل العربى يمكن ان يكون حقيقيا !

سياسة الوفاق الدولى دائما وعبر التاريخ ، هدف للقوى الكبرى فى اى عصر ، اذا اقترنت بعجز كل منها عن تدمير الاخرى ...

وعلى الاقل منذ فشل سياسة فوستر دلاس فى احتواء روسيا ثم « ردها الى الوراء » على حد تعبيره . ثم منذ سحب الصواريخ السوفيتية من كوبا فى تلك المواجهة الخطرة سنة ١٩٦٠ ، وروسيا وامريكا تعملان بشدة للوصول الى صيغة وفاق ..

وكان لابد ان يمر هذا الوفاق عبر قضايا بالغة الخطر وشخونة بالمكانيات الانفجار : الموقف فى اوروبا ومشكلة المانيا بالذات - وتحديد الاسلحة الذرية - حرب الهند الصينية - مكان المصالح

تدخل حرب اكتوبر ١٩٧٣ اليوم اسبوعها الثالث . واول ما يخطر على البال قول موسى ديان كما سمعته بانى يوم ٧ اكتوبر حين قال « يومان لصعد الهجوم المصرى السوري ، ثم يومان يقتل خلالها استعداد الاحتياطى الاسرائيلى ، ثم يومان لانهاء القتال ! »

وفي هذا المجال لابد ان يقال ان اى شرة او سائل خام ليس اقل من الدم ، ولا بد ان يقال ان المساهبات الرهزية لم يعد لها مجال .
ولا بد ان يقال ايضا ان كل شىء في الحياة قد يمكن بحالته او التعامل معه بنصف مجهود ، او نصف قلب ، باعدا الحرب ! الصرب جوهرها هو شىء يستطيع شعب او تستطيع امة ان تنزع فيها « كل شىء » من ملغة الرساس الى لفة الخبز الى دينة العمل الى كفاءة العمل ، وبالسرعة اللازمة .
فالشعار الذى يجب ان يرنمه كل منظر محارب ، وتقرضه على نفسها الامة العربية جمعا هو : الكل ... والان ا قواتنا المسلحة تعطى « الكل ... »
والان ! .. فهل تعطى امنا هذه المعركة البطولية التاريخية : الكل ... وبدون تأجيل !
الوقت في الحرب ليس من ذهب . انه من دم

قال الرئيس انور السادات فى اهم خطاب له ، فى اهم يوم فى حياتنا « اننى افضل احترام العالم ولو بغير عطف ، على عطف العالم اذا كان بغير احترام ! »

وليس هناك اصح من هذا الكلام . ليس في باب الكرامة والكبرياء نصيب ولكن في باب المصلحة ايضا ، ان عطف العالم لا يعطى شيئا في حين ان الاحترام هو الذى يعطى الكثير !

وهنا يجب ان يكون هذا الان واضحا هذه المرة للعالم الخارجى !
هناك « اصدقاء » ليس لديهم مانع ابدا من ان يرتوا على ايماننا ، ويخفقوا بنا الامنا ، ويصدروا التصريحات فى تأييدنا ، وربما اعطوا اينسا اسوانهم لنا فى المحافل الدولية .. ما دهننا الطرف الاضعف ، لكن هذا لن يهل لنا قضية ، في حين انه يضمن لهم مصالحهم الحيوية لدينا .
هؤلاء الاصدقاء ، فيهم الدول ، وفيهم

اى سنة ايام اخرى ، لا اكثر ولا اقل وانصا ، في نفس اليوم ، سمعت جولدا مائير تعزف على وتر آخر ، موحه هذه المرة للعالم الخارجى « نحن ندافع عن انفسنا . انهم هم المعتدون ، ونحن لا نريد الا السلام » .. فاسرائيل بسنة ١٩٦٧ وجدت في اخلاق خليج العقبة وضع ساعات سببا كافيا لشن الحرب ، ولتقتها لاتجد في احتلالها لاراضى ثلاث دول عربية ، وتشريد مليون عربى آخرين ، ورفض كل الضغوط الدولية من اجل السلام ، سببا لان يحارب العرب !
اما والحرب بدأ اسبوعها الثالث ، فلا اظن ان هناك شيئا يستطيع ان يضيفه كاتب الى شعور اى مواطن :
لقد كان لابد مما ليس منه بد ! كان لابد مهما كانت النتائج ان تعرف اسرائيل ويعرف العالم ان ارضنا لها ثمن باهظ ، سوف نظل ندفعه حتى نستردنا .

والانتفاق شامل بين كل المعتنين والحلطين في مختلف انحاء العالم : ان اى عمل تقوم به اسرائيل لا يمكن ان يلقى اثر التعبير الذى حدث : هزيمة السيطرة الاسرائيلية على العالم العربى تحلمت . اسطورة عجز العرب الابدى - عن استخدام ادوات العصر الحديث حتى الحربى منها ، لم تعد واردة .

يبقى ان يعرف هذا العرب جميعا !
بمعنى ان يعرفوا ان مردود هذا التحول ليس مقصورا على نول المواجهة وحدها . وليس مقصورا على استرداد او فقدان قطعة من الارض . ولكن مردوده يشمل كل حياة العرب وكل مصالح العرب وكل مستقبل العرب في هذا العالم الذى نعاد صياغته لقرون طويلة مقبلة ، بالنظور الاقتصادى والعلمى والاجتماعى نارة ، وبالصراع او الوفاق السياسى نارة ، وبالدم والحديد والنار نارة اخرى .

ونحاول استعراض كل قضايا العرب حدود متنازع عليها .. جزر تانها .. نرووات طبيعية لا تهدأ حولها حرب الاسعار امال في التنمية والتقدم ، اموال سائلة فى بحار من المضاربات الدولية .. ان ما يحدث في الجبهة ينعكس على هذا كله : بالفارق بين امة يعاملها العالم معاملة المهزوم المذعن وامة يعاملها العالم معاملة الند .